أو مولدة وهى — إن لم تكن نوحية — ألفية عمرها ألف سنة ، وقد استعملها كبار الأدباء ، وهذه حكاية أوردها ياقوت فى كتاب (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) وقد جاءت فيها اللفظة المذكورة :

« حدث غرس النعمة محمد بن هلال قال : حضر يوماً (ابن جنى) — الامام اللغوى — فى الديوان يتحدث مع أبى اسحق الصابى ، وكان له عادة فى حديثه بأن يميل شفتيه ويشير بيديه ، فبقى أبو الحسين القمى شاخصاً ببصره يتعجب منه فقال له ابن جنى : ما بك يا أبا الحسين ، تحدق إلى النظر وتكثر منى التعجب ؟

قال : شىء ظريف !

قال : ماهو ؟

قال : شبهت مولاى الشيخ وهو يتحدث ويقول ببوزه كذا وبيده كذا بقرد رأيته اليوم عند صعودى إلى دار المملكة وهو على شاطىء دجلة يفعل مثلما يفعل مولاى الشيخ

فامتعض أبو الفتح بن جنى وقال : ماهذا القول يا أبا الحسين (أعزك الله) ؟ ومتى رأيتنى أمزح فتمزح معى ، أو أجن فتمجن لى ؟

فلما رآه أبو الحسين قد غضب قال : المعذرة أيها الشيخ إليك وإلى الله (تعالى) أن أشبهك بالقرد ، وإنما شبهت القرد بك

فضحك ابن جنى وقال : ما أحسن ما اعتذرت ! وعلم أنها نادرة تشيع فكان يتحدث هو بها دائما »

* * *

و يستعمل بعضهم (البوز) لبرطيل[1] الكلب . فيقول : بوز فلان مثل بوز الكلب

وإذا كانت اللغة خصت بها هذا الحيوان فيكون استعمالها لنوع من بنى الإنسان مجازياً ، والمجاز باب واسع . . .

فقول الجمهور لذلك (الشرطى) حين خرج الذى خرج من فيه ، من فمه ، من بوزه : (سد بوزك) — استعمال من جهة اللغة فى محله . . .

محمد اسعاف النشاشيبى

(١) البرطيل : خطم الفلحس وهو الكلب

الروايات الكنسية والنصرانية

وقيمتها كمصادر للتاريخ الاسلامى

للاستاذ محمد عبد الله عنان

وفقت دار الآثار المصرية أخيراً للحصول على نسخة مصورة من أثر كنسى هام له قيمته فى تاريخ مصر الاسلامية ، هو مجموعة سير بطاركة الكنيسة القبطية منذ نشأتها حتى منتصف القرن السابع الهجرى . وقد كان للمجتمع القبطى دائماً شأن فى تاريخ مصر الاسلامية ، وكان للكنيسة القبطية دائماً علائقها الرسمية مع الحكومات الاسلامية ، ومع ذلك فان الرواية الاسلامية لم تفسح مجالا كبيرا لبحث هذه العلائق وتمحيصها ، ولم تعن بالأخص بان تشرح لنا وجهة النظر الكنسية فى مختلف العصور شرحاً وافياً ، ولم تفطن دائماً الى الاستفادة من الآثار والمصادر النصرانية فى تفهم أحوال المجتمع النصرانى وزعامته الروحية .

ومن ثم كانت أهمية الآثار النصرانية التى تعنى بعصور من تواريخ الأمم الاسلامية ، ففى هذه الآثار نستطيع أن نفهم بوضوح موقف الكنيسة وموقف أولياتها حسبما يصوره لنا كتابها ودعاتها ، ونستطيع بمراجعة أقوالهم وتعليقاتهم أن نقف على كثير من الحقائق التى لم تعن الرواية الاسلامية بشرحها واستيعابها ، وكتاب سير البطاركة الذى أشرنا إليه من تلك الآثار التى تلقى ضوءا على موقف الكنيسة القبطية ، وموقف الشعب القبطي وأحواله فى مصر خلال العصور الوسطي ، وهى ناحية لها بلا ريب قيمتها وأهميتها فى تاريخنا القومى . وتنقسم النسخة المصورة التى حصلت عليها دار الكتب من الأثر الذى أشرنا اليه والتى نقلتها عن مخطوط باريس إلى قسمين : أولها كتاب سير الآباء البطاركة الذى وضعه الأنبا سويرس بن المقفع أسقف الأشمونين فى عهد المعز لدين الله الفاطمى فى تاريخ بطاركة الاسكندرية ، وهذا الأثر معروف ومتداول لأنه طبع منذ أكثر من ثلاثين عاما بعناية الآباء اليسوعيين ، وقد عرفته الرواية الاسلامية منذ عصور واتفعت به أحيانا فيما نقلته من أنباء الكنيسة والبطاركة . وقد كان الأسقف سويرس من أكابر الأحبار والمفكرين أيام الدولة الأخشيدية وأيام المعز لدين الله ، وكان أسقفا لمدينة الاشمونين التى كانت من مدائن

الصعيد الزاهرة يومئذ ، وتشيد الرواية الكنسية بعلمه وأدبه ومكانته الروحية والاجتماعية ، وتحدثنا عن صلاته بالمعز لدين الله ومحاوراته الدينية والكلامية معه ، وتعدد لنا كتبه وآثاره الأدبية والتاريخية . ويتناول سويرس فى كتابه سير بطاركة الاسكندرية منذ القديس مرقص منشىء هذا الكرسى حتى البطريرك افراهام بن زرعة السريانى الذى رسم بطريركا للعاقبة سنة ٣٦٥ هـ (٩٧٥ م) فى أوائل عصر العزيز بالله . وقد ورد فى مقدمة هذا القسم إشارة إلى طريقة وضع هذا الأثر وتأليفه نصها : « هذه السيرة جمعها واهتم بها من كل مكان الأب الجليل انبا سويرس بن المقفع أسقف مدينة الاشمونين ، ذكر أنه جمعها من دير أبو مقار ودير نهيا ، وغيرهما من الديارات وما وجده فى أيدى النصارى منها أجزاء مفرقة أنفق فيها أعواما طويلة حتى بلغ عمره الثمانين » [1] .

على ان هذا القسم المتداول ليس هو المقصود بالذات فى هذا التعريف والتعليق ، وانما نقصد بالاخص إلى التعريف بالقسم الثانى من الأثر الكنسى ، وهو الذى يشغل المجلدين الثالث والرابع من مخطوط باريس الذى نقلت عنه نسخة دار الكتب المصورة ، فهذا القسم الذى لم ير الضياء بعد يحتوى على سير البطاركة المصريين منذ أوائل الدولة الفاطمية إلى سنة ٦٣٥ هـ أعنى إلى نهاية عصر الملك الكامل . وقد نسب هذا الأثر بجملته فى فهرس مكتبة باريس الوطنية إلى سويرس بن المقفع ، وهى نسبة ظاهرة الخطأ لأن سويرس توفى فى أوائل عهد العزيز حوالى سنة ٣٧٠ هـ ، فليس من المعقول إذن أن ينسب إليه ما تضمنه الأثر الكنسى بعد هذا التاريخ : وظهر أثر هذه النسبة الخاطئة جليا فيما كتبه العلامة المستشرق سلفستر دى ساسى ، عن الحاكم بامر الله فى كتابه عن الدروز ، إذ ينقل كثيرا مما ورد فى الاثر الكنسى عن عصر الظاهر ولد الحاكم وعن عصر المستنصر بالله ولد الظاهر [2] ، منسوبا إلى سويرس بن المقفع .

وقد أتيحت لنا فرصة لبحث هذا الاثر الكنسى واستقصاء مصادره ومساق واضعيه ، فانتهينا إلى هذه الحقيقة وهى أن الجزأين الثالث والرابع من المخطوط ليس لهما علاقة بمؤلف أسقف الأشمونين ، بل هما أثر مستقل بذاته ، ذيل بهما الأثر الأصلى لأنهما فى نفس موضوعه وهو استئناف سير البطاركة من حيث وقف سويرس ؛ ويسمى هذا الأثر الملحق باسم آخر هو « سير البيعة المقدسة » ، ولم يقم بتأليفه أو وضعه مؤلف واحد بل تعاقب فى وضعه وكتابته عدة من الأحبار المتعاقبين ، فتولى كتابة القسم الخاص بعصرى العزيز والحاكم مثلا قس معاصر يدعى الأب ميخائيل « كاتب السنوديقا بكرسى مار مرقص ، (البطريركية) كما يقول لنا ذلك خلال الكتاب ؛ وكتب سيرة الأنبا فيلاتاوس البطريرك الثالث والستين وهو معاصر العزيز ثم الأنبا زخاريا البطريرك الرابع والستين وهو معاصر الحاكم بأمر الله ، وأورد الكتاب خلال حديثه كثيراً من الأقوال والروايات الهامة عن الحاكم وحياته العامة والخاصة ، وعن حوادث العصر المدهشة . وكتب سير البيعة المقدسة أيام الظاهر والمستنصر قس يدعى موهوب بن منصور بن مفرج الاسكندرانى -- الشماس » ، ويقول لنا « إنه جمع سيرهم وكتبها واستخرجها من دير أبو مقار بوادى هبيب وذلك سنة ٨٠٦ للشهداء الموافقة لسنة ٤٨٠ هـ » . وكتب فى أيام المستنصر وبعده قس آخر يدعى يوحنا ابن صاعد بن يحيى المعروف بالقلزمى وهكذا حتى أواخر الدولة الفاطمية ؛ وهنا يقول لنا كاتب هذا القسم إنه سيتم سير الآباء ، وإنه بدأ بما شاهده فى عصره وخصوصا أيام زوال الدولة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية ، وهنا يميل الكاتب إلى التبسط فى سرد أحداث العصر ، ولا يتقيد بالناحية الكنسية بل يفيض فى سرد الحوادث جملة ؛ ويتحدث عن السلطنة وعن سيرها وأعمالها ، ويسير فى ذلك على ترتيب السنين القبطية أو سنى الشهداء ، حتى سنة ٦٣٥ هـ ، أو نحو سنة ٩٥٠ للشهداء ، حتى نهاية عصر الملك الكامل ناصر الدين

ولقد نوهنا فى بداية هذا الفصل بأهمية أمثال هذه الآثار الكنسية فى شرح موقف الكنيسة من الخلافة أو السلطنة ، وشرح وجهات نظرها فيما يتصل بها من الحوادث والشؤون ، وتبدو أهمية الرواية الكنسية بنوع خاص فى العصور التي تضطرم فيها فورات اضطهاد ضد الكنيسة والمجتمع النصرانى أو تتجه السياسة الاسلامية إلى الضغط عليهما لظروف وعوامل

---

(١) فى ديباجة سير الآباء البطاركة (طبعة اليسوعيين)

(٢) سلفستر دى ساسي (Religion des Druses : (P.417 et Suiv. ومما يلاحظ أن هذا العلامة هو الذى وضع فهرس الكتب العربية لمكتبة باريس ووقع فى هذا الخطأ ، الذى تابعه فيه البحث الحديث بنسبة الاثر كله الى سويرس ابن المقفع .

خاصة ، كما حدث بمصر فى عصر المأمون ، وفى عصر الحاكم بأمر الله وأيام الحروب الصليبية : فهنا تبدو الرواية الكنسية متنفساً حقيقياً للتعبير عما يخالج الكنيسة ورعاياها من العواطف والآراء نحو المجتمع الاسلامى ؛ وقد تحمل الرواية الكنسية فى هذه المواقف على المبالغة والاغراق فى أحيان كثيرة ، ولكنها تحتفظ مع ذلك بقيمتها وأهميتها فى إيضاح كثير من النقط والمواقف التى تغضى عنها الرواية الاسلامية أو ترى فيها آراء أخرى.

ولا تقف أهمية الرواية الكنسية عند ذلك الحد ؛ ففى بعض الأحيان ، وفى عصور السكينة والسلام ، تغدو الرواية الكنسية مصدراً قيما لاستعراض الحوادث التى تعنى بها . وفى القسم الأخير من مجموعة « سير البيعة المقدسة » يبدو الكاتب مؤرخاً لا غبار عليه ، ويتبسط فى شرح الحوادث والشؤون العامة فى أواخر الدولة الأيوبية ، ويقدم إلينا عنها رواية لا بأس بها

ونرى أن نشير بهذه المناسبة إلى أنه توجد الى جانب هذه الروايات الكنسية التى تعنى بناحية خاصة من تاريخ مصر الاسلامية لم تعطها الرواية الاسلامية دائما حقها من العناية ، طائفة من الروايات النصرانية ، التى تتبوأ مقامها الحق بين مصادر التاريخ الاسلامى ؛ فلدينا مثلا تاريخ سعيد بن بطريق — بطريرك الاسكندرية الذى يصل فى كتابته حتى سنة ٣٢٦ هـ ، وتاريخ يحيى بن سعيد الانطاكى الطبيب والمؤرخ ، وقد كتبه ذيلا على تاريخ ابن بطريق ، ووصل فى كتابته حتى أواخر عهد الظاهر لاعزاز دين الله الفاطمى ، وعنى فيه عناية خاصة بأخبار الحاكم وشخصه وحوادث عصره ، وتاريخ المكين ابن العميد المسمى بتاريخ المسلمين الذى يستعرض فيه أخبار الخلافة والسلطنة حتى أواخر القرن السادس الهجرى ؛ وتاريخ ابن العبرى المسمى بمختصر تاريخ الدول الذى يصل فيه برواية حتى أواخر عصره أعنى إلى أواخر القرن السابع ، فهذه الآثار التى كتبها كتاب ومؤرخون من النصارى ، وإن كانت تميل فى معظم الأحيان إلى أن تخص أخبار الكنيسة والمجتمع النصرانى باعظم قسط من عنايتها ، تحتفظ دائما بقيمتها كمصادر لتواريخ العصور التى عنيت بها . وتمتاز هذه الآثار بميزة خاصة ، هى أنها تعنى عناية فائقة بتاريخ الدولة البيزنطية باعتبارها حامية الكنيسة الشرقية ، وتفيض فى تتبع أخبارها وعلاقتها بالأمم الاسلامية إفاضة دقيقة ممتعة ، وهذه ناحية لم تخصها الرواية الاسلامية دائما بما يجب من عناية ، بل هى تعتمد غالبا فى تناولها على هذه الروايات النصرانية ، مثال ذلك أن ابن خلدون يعتمد على ابن العميد فى معظم ما كتبه عن أخبار الدولة الرومانية والدولة الشرقية (البيزنطية) . ويرجع السر فى ذلك إلى أن أغلب الكتاب النصارى كانوا يعرفون السريانية واليونانية واللاتينية أحياناً ، ومن ثم كان اتصالهم بالمراجع الأجنبية وانتفاعهم بها .

وهكذا نرى أن الروايات الكنسية والنصرانية العربية بوجه عام فضلا عن قيمتها وأهميتها الخاصة فى سرد أخبار الكنيسة والمجتمع النصرانى ، وشرح مواقفهما فى مختلف العصور والمناسبات ، حقيقة بالدرس والمراجعة كمصادر قيمة لعصور معينة من التاريخ الاسلامى ، تلقى ضوءاً على كثير من نواحى الصلة والعلائق بين الشرق والغرب ، والنصرانية والاسلام

محمد عبد الله عنان

مصر
فى قيصرية الاسكندر المقدونى
تأليف
اسماعيل مظهر
بحث ادبى تاريخى فى فتح المقدونيين لمصر . ولهو هذا الانقلاب الكبير بين مصر الفرعونية ومصر المقدونية ولهو انقلاب كان له اكبر الأثر على كل بلاد الشرق من اقصى شمال افريقية الى اقصى بلاد فارس
يطلب من الناشر
مكتبة النهضة المصرية
١٥ شارع المدابغ
ومن المكاتب الشهيرة ثمنه ٦ قروش خلاف اجرة البريد
ويظهر قريبا للمؤلف كتاب
الحب الأول أو قيصر وكليوباترا